العنف الأساسيّ والثانويّ

تبقى نقطةٌ أخيرة، وهي يقيني أنّ نظامَ الحكم التسلّطيّ الراهن سيستمرّ في محاولة إجهاض كلّ قنوات التغيير السلميّ في مصر. وهذا سيدفع الساحةَ السياسيّةَ المصريّة، لا محالة، إلى أشكالٍ من العنف، يبدأها ويجرّنا جميعًا إليها ذلك النظامُ، مطمئنّاً إلى تفوّقه في ميدان القهر المنظّم. فعلى مَن يروم العملَ في مضمار السياسة في مصر، إذًا، ألاّ يتناسى هذا التصوّرَ المستقبليّ، وأن يستعدَّ له.

وفي هذا الصدد، تتعيّن التفرقةُ بين العنف الأساسيّ الذي ينتهجه الحكمُ التسلّطيّ، وبين ما يستدعيه من ردّ فعلٍ عنيفٍ من الناس المناضلين من أجل حقوقهم ـ وهو ما يمكن تسميتُه «العنف الثانويّ.» التجريمُ يجب أن يقع على العنف الأساسيّ، لا على ردّ الفعل الثانويّ، خاصةً عندما يسدّ نظامُ الحكم التسلطيّ قنواتِ التغيير السلميّ. يقول صلاح عبد الصبور: «في بلدٍ تتعرّى فيه المرأةُ كي تأكل، لا يوجد مستقبل/في بلدٍ يتمدّد فيه الفقرُ في الطرقات، لا يوجد مستقبل/يا أهلَ مدينتنا، انفجروا أو موتوا.. رعبٌ أكبرُ من هذا سوف يجيء!»

خلاصة

يتعيّن على أيّ تشكيلٍ سياسيّ، أو شبه سياسيّ، قائمٍ الآن في مصر، أو في سبيل التشكّل، إنْ كان يروم أن يُسهم بفعاليّةٍ في تجاوز حالة البوار السياسيّ الراهنة في البلد، أن يتبنّى في الممارسة المخلصة والدؤوبة توجّهين أساسيين:

الأول: مفهومٌ واسعٌ للسياسة، هو الأنسبُ في بلدٍ يعاني المواطنون فيه أبشعَ أشكال القهر والإفقار؛ مفهومٌ لا يتعالى على المعاناة اليوميّة لجماهير الناس، فلا يخرجُها من نطاق «السياسة» ويعتبرها همومًا «محض اجتماعيّة،» ويستبعد من ثمّ العملَ من أجل نيل طموحات الجماهير المشروعة في العيش الكريم.

والثاني: أن يتشكّل القوامُ التنظيميّ، وتُنتخب القياداتُ، ديمقراطيّاً، من خلال النضال في صفوف جماهير الناس.

فقط في ظل هذين التوجّهين يمكن أن تستفيقَ التشكيلاتُ السياسيّةُ المعارضةُ الراهنة من غيبوبتها الحاليّة. كما يمْكن أن تشكّل جهودُ إنشاء التنظيمات النقابيّة المستقلّة اختراقًا عظيمًا فعلاً لحالة البوار السياسيّ في مصر.

القاهرة

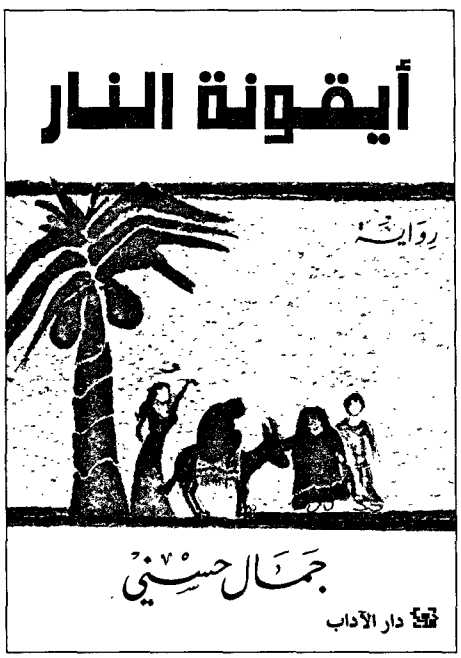

«... من أجمل ما يظهره هذا الفصل السعيد في حياة الشارع مشهدُ فتياتها الآخذات طريقهنّ إلى الانضمام لقوافل الجمال والغنج، ولطف الأنوثة الطاغي، الذي قلّما يتكرّر في هذا الشارع ذي الصيت والسمعة الطيّبة على جمال نسائه، ونعومتهنّ، لدرجة أصبحن مثارًا لحسد سكّان الشوارع الأخرى في القرية، وكأنّ الربّ شاء أن يجتمع الجمالُ الأنثوي فيه مع نقيضه من قبح الرجال...»

رواية تحمل عبق المكان وصدق التصوير عن فترة تاريخيّة في عمر الزمان لقرية مصريّة لم تفقدْ روحَها في زحمة المدينة الكاسحة.

د. جمال حسني: من محافظة أسيوط في مصر. مدرّس البلاغة والنقد الأدبيّ في جامعة أسيوط. له العديد من الدراسات النقديّة والفنيّة التي تهتمّ بأدب الجنوب في القصّة والرواية والشعر.